بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن السؤال الفلسفى المعاصر هو محاولة مطردة ومتواصلة من أجل مقاربة ماهية الخطاب الفلسفى، فقد دأبت مختلف المدارس على طرح وإعادة تشكيل سؤال: ما الفلسفة؟

وهذا ما يجعلنا نلاحظ أن معظم المناظرات التى تمت والتى مازال يتواتر حدوثها، بين المتفلسفين وكل المنتسبين للخطاب الفلسفى تنطلق من وجهات نظر تمثل فضاءات نظرية تحاول أن تقدم للفلسفة وضعاً متفرداً وأسلوباً خاصاً فى التحليل والمعالجة وصيغاً متميزة ومتجددة فى الكتابة.

إن اللغة الفلسفية المعاصرة تشكل تعبيراً يستجيب فى مواصفاته العامة لهاجس أساسى يرتبط بمحاولة ضبط عناصر الخطاب الفلسفى الذى بقى عصياً على التحديد ومعرضاً بشكل كامل ودورى للاختراق والخلخلة ولكل محاولات الإضافة والحذف سعياً وراء ضبط لائحة الشروط الإبداعية والتأسيسية.

ومع ذلك فإن الحلم الذى يدفعنا إلى وضع قواعد تسهم فى بلورة وبناء الخطابات الفلسفية سيبقى حلما بدون معنى، نتيجة لطبيعة الكتابة والإبداع فى الفلسفة الذى يتميز بالصدفة وانعدام اليقين إضافة إلى تفتحه على الممكنات ضمن فضاء فكرى تسهم عناصر متعددة وغير متجانسة فى تشكيله.

فليست المسألة إذن مجرد رغبة آنية يرجى منها المساهمة فى تحديد ماهية الموضوع المدروس، ولكنها رهان شديد الارتباط بالفعل الفلسفى الذى يتأسس وينبثق انطلاقاً من عمق ذاتى تسهم ذاكرة النصوص فى بلورته دون أن تصل به إلى الاكتمال المنهجى الذى يمكنه أن يزيل الطبيعة الملتبسة والغامضة لعملية

الإبداع الفلسفى. كما أن المنعرجات والسبل التعبيرية الملتوية التى تفضى إلى ولادة الابتكار النصى داخل الحقل الفلسفى يصعب أن تكون محطة لإعادة إنجاز أكثر من فعل إبداعى أصيل، حيث أن كل كتابة جديدة هى بمثابة مغامرة نصية غير مسبوقة حتى وإن بدت بعض محطاتها المفاهيمية متماثلة أو متجانسة، لأن المفاهيم تمثل القاسم المشترك لكل المحاولات التأسيسية ضمن السياق العام للفلسفة، ولكونها تشكل عمودها الفقرى وتساعد على إخراج لغتها التقنية إلى حيز الوجود حيث تسمح هذه اللغة بتحديد ملامح الخطاب الفلسفى وبالتعرف عليه.

وعليه فالفلسفة لا يمكنها أن تصف نفسها إلا انطلاقاً من فعل إبداعى جديد، يفترض أن يكون أكثر من مجرد سرد سريع لرزنامة آليات النشأة التى تمثل مكونات الخطاب، لأن النص الفلسفى الواصف لا يمكن أن يختزل إلى مجرد قراءة تقنية للموضوع المدروس فهو تعبير متميز يشير إلى انفتاح غير محدود على مسيرة وسيرورة الإبداع فى الفلسفة انطلاقاً من بوتقة معرفية تطال مختلف الفروع والاختصاصات ومجالات الخبرة الحياتية والأبعاد التأملية العميقة للكائن الذى يقف وراء معابر وحدود النص الواصف. إنه يمثل انتماء لعمل يتبلور خلف الواجهة المعلنة والمعروضة أى ما بعد الحدث الرسمى أو الأصلى، هذا إن كان هناك بطبيعة الحال أصل أزلى قابل للتمثل.

وهكذا فالفيلسوف يصوغ خطابه على أسس مبنية للمجهول، وقد يكون بإمكانه ادعاء معرفتها ولكنه عاجز على إعادة إنجاز رسم وفى لها. فالمعلوم المتولد عن المجهول لا يمكنه أن يكون ابنا وفيا لأب تجهل خصائصه الجينية والوراثية.

إن هذا العمل المتواضع الذى أنجزناه لا يستوفى بطبيعة الحال كل الشروط والعناصر التى يحيل إليها موضوع الفلسفة الواصفة، فهو مجرد محاولة جد محتشمة بل وناقصة من أجل الإشارة إلى ماهية بعض العناصر التى تسهم فى بلورة النسيج العام للخطاب الفلسفى.